

* الفرق بين البلاغة والفصاحة

- يقول الهراعي: «أما البلاغة اصطلاحاً فالبلاغة هي ذلك فريقان»

1- المتقدمون كالإمام عبد القاهر المرجاني ومن لف لفه وهؤلاء يرون أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ألقاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات وإنما يوصف بها الكلام بعد توخي معاني النصو فيما بين الكلم بحسب الأغراض التي يصاغ لها، وإلى ذلك أشار في دلائل الإعجاز في مواضع عدة منها قوله: «فصل في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة، وكل ذلك من ألقاظ ذلك مما يعبر عن فضل بعض القائلين على بعض، وقبله قال أبو الهلال العسكري في الصنائع: «الفصاحة والبلاغة والبيان ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلهما لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة على المعنى والإظهار له»، وقال الفخر الرازي في نهاية الإعجاز: «وأكثر اللغاة لا يكادون يعرفون بين البلاغة والفصاحة بل يهتكلون بها استعمال الشئ في المنزلة فيد على معنى واحد في تهوية الحكم بينهما».

2- المتأخرون كأبي يعقوب السكاكي وأب الأثير، ومن مثابتهما، وأولئك يرون إخراج الفصاحة من كنف البلاغة ويحتلوها اسم لما كان بنحوه من تباين الحروف وغرابة الألفاظ ومخالفة القياس، ويحتلون البلاغة اسم لما طابق مقتضى الحال مع الفصاحة وعلى هذا الرأي أغلب البلاغة كل والفصاحة

جزوه ١ هـ

- وهما يبديان الإشارة إلى البلاغة والفصاحة عموم وخصوص فنقل كلام
بليغ فصيح وليس كل كلام فصيح بليغ.

يقول الحرجاني في التعريفات: «+ البلاغة في التكلم بمادة
يقتدر بها إلى تأليف كلام بليغ.

+ البلاغة في الكلام: مصابقتها لمقتضى الحال والحراد بالحال، الأمر
الداعي إلى التكلم على وجه خصوص مع فصاحته.

وقيل: + البلاغة: تنبؤ عن الوصول والانتهاج، يوصف بها الكلام
والمكلم.

+ التعريف الفصاحة: الفصاحة في اللغة لسان معان متعددة كلها

تشتت عن الظهور والإبانة، فيقال: 1- فصع اللبن وأفصح إذا
أخذت عنه الرغوة، قال نضلة السلمي: وتحت الرغوة اللبن الفصيح
[يضرب مثلا للأمر ضاهره غير باطنه]. 2- أفصح الصبح إذا ضوؤه،

ومنه المثل: أفصح الصبح لذي عينين [يقال للشيء، ينكشف

بعد استتاره]. 3- يوم مفصح وفصح لا غيم فيه ولا قمر. 4- أفصح

الأعجمي بالعربي، وضع لسانه بها إذا خلصت لغته من اللفظ

وفي التنزيل: حم وأخي هارون هو أفصح مني لسانا أي: أبين مني
قولاً.

+ الفصاحة اصطلاحاً: في اصطلاح أهل المعاني: «عبارة عن

الألفاظ البينة لظاهرة لطيفة، رارة إلى الفهم، والها تولى

الإستعمال بين الكتاب والشعراء لمكان لحسنها.

+ ركائز الفصاحة:

+ فصاحة الكلمة: تتحقق فصاحة الكلمة المفردة بتبليغها

من ثلاث عيوب هي:

1- تنافر الحروف. 2- غزابة الإستعمال. 3- مخالفة القياس. 4- الكراهة

في السمع.

1- تنافر الحروف: أي ما وصف في الكلمة بوجوب ثقلها على السمع وصعوبة أدائها باللسان بسبب كون حروف الكلمة متتاربة المضاجع، مثل (هـ ح خ) وهو بيت نرجاه الكابل. قال أعرابي، تركت ناقتي ترعى البعوض، وللصراط لمعرفة الثقل والصعوبة سوى الذوق السليم والحس الصادق الساجدين عن النظر في كلام البلغاء ومعارضة أساليبهم. وليس مشوه قرب مضاجع الحروف دأبها، ألا ترى أنك تجد الحسن في لفظ (جيش) مع تعارب مضاجع حروفه، وكذلك (المشجر)، وتجد لفظ (قلع) بمعنى أنسج متباعد المضاجع وهو حسن أغزر، ولا طول الكلمات كضم فصول وحذف ليل وما جرى مجراها.

2- غرابة الاستعمال: هي كون الكلمة غير ظاهرة المعنى، ولما أئوت استعمال عند طائفة العرب، لا عند المولدين لها، كثير مما في المعاجم عريب عندهم والغرابة قسما:

1- ما يوجب حيرة السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة لتعدد ما بين معنيين أو أكثر لا قرينة، وذلك في الألفاظ المشتركة كالعين ما بها تطلق على العين الجارية وعلى الجاسوس وعلى ينبوع الماء وحرف على حروف حروف العربية.

3- مضالفة القياس: وذلك بكون الكلمة غير جارية على القانون الذي وفي المستند من كلام العرب، مثل قول أبي نجم،

(الحمد لله العلي [الأجل] الواحد الفرد القديم الأول)

فإن القياس [الأجل] بالإدغام، ولا مدح لفظه.

قال صاحب الصناعتين: وإنما استعمل ذلك القدماء لأنهم كانوا أصحاب بداية وبداية منزلة مع أن استعارهم

لم تكن تنقد عليهم، ولو نقدت كمات نقد على شتم هذه
الأربعة ويظهر من كلامهم ما جاء فيه أدنى عيب لتقصوه
4- الكراهة في السمع: هي أن تجمع الكلمة الأشباع وتأنف
بها الطباع لوجهيها وعلاقتها كالجبرشي، بمعنى
النفوس في قول أبي الطيب يجمع سيف الدولة،

سارى الاسم النمل للقب * كريمة الجوشي شريف النسب
فصاحة الكلام: وفصاحته تكون بسلاطته من كل ما ينقلق
به معناه ويحبهم معناه، والمكان هرودا حار جاد حدود البلاغة
ورسوم الفصاحة، ولو احتوى على أهل المعالي وأشرفها، وإنما يتم
له ذلك إذا غلبت الأشياء التالية،

1- تنافر الكلمات مجتمعة، ويدخل فيه كثرة التكرار وتنازع
الإضافات: أي أن تكون الكلمات ثقيلة من تركيبتها مع
عضها على السمع، عسرة النطق مجتمعة على اللسان وإن كان
كل جزء منه على انفراد فصيحاً، كقول الشاعر
وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر
ولسدة التقل فيه رعموا أنه هذا البيت لا يتهيأ لأحد أن يكرره
ثلاث مرة دون أن يتجمع فيه.

2- ضعف التأليف: وهو أن يكون تأليف الكلام مضافاً
لما استلزمه من قوافي النحو المستعمرة كوصل الضميرين
وتقديم غير الأعراف مع وجوب الفصل في نحو هذا كقول
المتنبي:

خلت البلاد من الغزاة ليلها * فأعاصها الله كي لا تحزننا
وعقول حسنة من شارب الأضفار قبل الذر لفظاً ومعنى وصحفاً
قوله حسنة يثابته، من الناس أنقى الدهر واحداً *
ولو أن محمداً أخذ الدهر واحداً * من الناس أنقى الدهر واحداً

3- التقييد: سببه وهو كون الكلام خفي الدلالة على المعنى
المراد به حيث تكون الألفاظ غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني

قال الشاعر:

فما أصبحت بعد خطي بمجتها * كأن قفرا رسوما قلمها
يريد فما أصبحت بعد بمجتها قفرا كأن قلمها خط رسوما،
فصل بين الفعل الناقص وخبره، وبين مكان واسمها،
وبين المصاحف والمصاف إليه، وقدم خبر كأن عليها وعلى
اسمها.

التقيد اللفظي: حقيقة أن تكون الألفاظ مرتبة
لأعلى وفق ترتيب المعاني فيعتمد نظام الكلام
وتأليفه بسبب ما يحصل فيه من تقديم وتأخير
ونحو ذلك، كتقديم الصفة على الموصوف، والصفة على
الموصول، وهو لغة موم من فوض عند أهل البيان، لأنه
يوجب اختلال المعنى واضطرابه، وذلك ضد الفصاحة
التي هي ظهور وإبانة، ومن ثم قال الكتاني: الألفاظ
أجساد والمعاني أرواح، وإنما ترى بعين القلوب،
فإذا تقدمت عنها مؤخر أو أضررت منها مقدمة فسدت
الصورة وغير المعنى، كما لو حول رأس على إلى موضع
يد أو يد إلى موضع رجل، فإن الحلقة تتحول والحلية
تتغير.

التقيد المعنوي: هو ضيق دلالة الكلام على المعنى
المراد من أجل كون التركيب اخفي الدلالة على المعنى
المراد لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى
المعنى المقصود بسبب إيراد اللوازم البعيدة المفترقة
إلى وسائل كثيرة مع عدم ظهور القرائن الدالة على
المقصود، "بأن يكون فلفم المعنى الثاني من الأول بعيدا
عن الفلفم عرفنا" كما في قول عباس بن الأحنف:
سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتلك عيناي الدموع لتحمدا

جعل مكتب الديموع كناية عما يلزم فراق الأخية من الحزن
والكمه من أحسن وأصعب في ذلك، ولكنه أخطأ في جعل جمود
العين كناية عما يوجب التلاقي من الفرح والسرور أن يقال
لما جمدت عينك، أو لازلت عينك جامدة. بل المعروف
عندهم أن جمود العين إنما يعني به من عدم البكاء حال الحزن،
كما في قول المتنبي:

أعيني جودا ولا تحمدا المتيكيا لصخر الندي
وقول أبي عطاء يري ابن هبيرة:

ألا إن عين المجد يوم واسط عليك بجاري دهمها لجمود
وهكذا كل الكنايات التي تستعملها العرب لأغراض، ويعبرها
للمتكلم ويريد بها أغراضا أخرى تختبر خوجات سنن العرب في
الاستعمال لهم وبعد ذلك تعقيب دافعي المعنى حيث لا يكون المراد
بلسا واضحا.

• فصاحة المتكلم، هي صفة راسخة في نفس المتكلم يقتدر بها
على التعبير عما يجول في خاطره من الأغراض والمقاصد،
وبذلك الصفة يتمكن من صياغة الأسلوب صروب الكلام،
من مديح وهجاء وتهنئة وهزل وخطب مخبرة، ورسائل
معمقة في الوعظ والإرشاد، والمفاخرات والمناقبات.
ولن يبلغ شاعر أو ناثر هذه المنزلة إلا إذا كان ملما بال لغة كثير الإطلاع
على كتب الأدب، محيطا بأسرار أساليب العرب، حافظا لعيون
كلامهم من شعر جيد ونثر مختار، عالما بأحوال الشعراء والخطباء،
ومجالس الملوك والأمراء، محيطا بتعدادات العرب وأخبار أيامهم.